بحوث في الأدب المقارن (فصليّة علميّة – محكّمة)
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة رازي، كرمانشاه
السّنة السّابعة، العدد ٢٥، ربيع ١٣٩٦ هـ. ش/ ١٤٣٨ هـ. ق/ ٢٠١٧ م، صص ١١٥-١٣٠

الشّهيد والشّهادة في شعر «أحمد دحبور» و«سلمان هراتي» (دراسة مقارنة)[١]

ناهده فوزي[٢]
أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الإسلاميّة الحرّة، طهران، إيران
سعيد فروغي‌نيا[٣]
الدّكتوراه في فرع اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الإسلاميّة الحرّة، طهران، إيران
موسى عربي[٤]
أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة شيراز، إيران

الملخّص
يعتبر موضوع الشّهيد والشّهادة من أقدم الموضوعات في أدب المقاومة والّذي تطرّق إليه معظم الشّعراء الملتزمين منذ غابر الأزمان إلى يومنا الرّاهن، وفي أيّامنا الرّاهنة طرق إلى هذا الموضوع شعراء كلّ من فلسطين المحتلّة وإيران الأبيّة نظراً لتقاربهما الثّقافي والسّياسي وخلقوا لوحات جميلة حول أدب المقاومة. «أحمد دحبور» الشّاعر البارز الفلسيطيني و«سلمان هراتي» الشّاعر الكبير الإيراني من هؤلاء الشّعراء الملتزمين الّذين استطاعوا من خلق أجمل اللّوحات في هذا الميدان. والسّؤال الّذي يُطرح هنا ما هي القواسم المشتركة وما هي الفوارق الكامنة بين مضامين هذين الشّاعرين الكبيرين في وصف الشّهيد والشّهادة؟ تمّ الإجابة على هذا التّساؤل الهامّ على أساس المنهج التّوصيفي – التّحليلي ونظراً إلى أشعار الشّاعرين وتمّ التّوصل إلى هذه النّتيجة بأنّ «أحمد دحبور» يرى مصرع الشّهيد في ميادين القتال غمّا لا يوصف وألما لا يوازيه ألم، ومن ثمّ يقيم له مراسم الحداد، غير أنّ «سلمان هراتي» لا يحب بل لا يجوز الحداد على الشّهيد. ثمّ إنّ للشّاعرين رأيا واحداً في خلود الشّهيد وكونه حيّاً ولكنّه نظراً لأوضاع الحرب ونوعيّة النّضال في كلّ من البلدين يختلف نوعية التّعبير عن أمل الشّهادة لدى الشّاعرين.

الكلمات الدّليليّة: الأدب المقارن، الشّهيد، الشّهادة، أحمد دحبور، سلمان هراتي، اللّغة الشّعريّة.

---

١. تاريخ الوصول: ١٤٣٨/١/١٣ تاريخ القبول: ١٤٣٨/٦/٩
٢. العنوان الإلكتروني: dr.fawzi1920@gmail.com
٣. العنوان الإلكتروني للكاتب المسؤول: foroughinia.saeid@yahoo.com
٤. العنوان الإلكتروني: moosaarabi@yahoo.com

١. المقدّمة

١-١. إشكاليّة البحث

حوى أدب المقاومة كأحد الفروع الهامّة للأدب الملتزم بين طيّاته كثيرا من الرّؤي والمعتقدات الكبيرة والمفصليّة كمفهوم الشّهادة والشّهيد، ويعتبر مفهوم الشّهيد من أفضل المفاهيم والقيّم في الجهاد الإسلامي (عليپور، ١٣٩٠: ٣٨٠).

صيانة دماء الشّهداء والإحتفال بذكراهم ومنهجهم مهمّة إنسانيّة ودينيّة ووطنيّة. والشّعراء منذ بزوغ فجر الإسلام تحدثوا عن الشّهيد والشّهادة وأدرجوا هذه المفاهيم في أشعارهم، وتحدثوا عن مكانتهم العليا ومنهجهم القيم وفقا للآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة، وصوّروا أجمل الصّور واللّوحات عن الشّهداء المسلمين ومصير الشّهادة. ها هو «حسّان بن ثابت الأنصاري» شاعر الرّسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه قال قصيدة في رثاء سيّد الشّهداء «حمزة بن عبد المطلب» عمّ النّبي عليه السّلام (مقدّم متقي، ١٤٣٢: ٨٦):

فقلـت لهـا إنّ الشّـهادة راحـة ورضـوان ربّ يا إمـام غفـور

(الأنصاري، ١٢٨١: ٤٣)

وبعد العصر الإسلامي مازال كان تصوير الشّهادة والشّهيد متبلورا في شعر الشّعراء إلى أيّامنا الرّاهنة حيث ظهرت كافّة أنواع شعر المقاومة وخاصّة في شعر شعراء فلسطين وإيران حيث أنّ عداوات الأعداء وتعسفات الظّالمين نزلت بساحة هاتين البلدين العريقين المسلمين الّذين يتقاربان سياسة وثقافة ودينا. فبدأ الأبطال بالنّضال والجهاد في سبيل الله باذلين النّفس والنّفيس للوصول إلى أهدافهم المباركة وأستُشهد كثير منهم في ساحات القتال، وحثّ الشّعراء من بلاد فلسطين وإيران، المجاهدين والمناضلين بالدّفاع والجهاد وبالإستماتة في ساحات القتال وخلقوا لوحات جديدة خالدة في هذا المجال ممّا يبهر العيون والأنظار.

١-٢. الضّرورة والأهمّيّة والهدف

من هنا ظهر مفهوم الشّهيد والشّهادة كأحد المحاور الأساسيّة في أدب المقاومة، وفي شعر شعراء الفلسطينيين والإيرانيين، ظهورا بارزا ملموسا، وطرق هؤلاء الشّعراء إلى هذين المفهومين (الشّهيد والشّهادة) وما ينجم عنهما من خلود الشّهيد وثقافة الشّهادة وعزاء الشّهداء وتأبّينهم وما إلى ذلك من موضوعات.

الشّاعر الفلسطيني الكبير «أحمد دحبور»[١] والشّاعر الإيراني «سلمان هراتي»[٢] من هؤلاء الشّعراء الّذين أشحذوا سلاح القلم ضدّ العدو والمعتدين، وأشعلوا نار المقاومة والنّضال في قلوب الشّعب الفلسطيني والشّعب الإيراني ولنا أن نقارن شعر هذين الشّاعرين الكبيرين نظرا للصّلة الوثيقيّة القائمة بين الثّقافة الإيرانيّة والثّقافة الفلسطينيّة لنقف على مكانة أدب المقاومة وميزاته وسماته بين هذين الشّاعرين، لأنّ من الواضح تماما بأنّه لو أردنا أن نفهم مكانة الأدب في بلد من البلدان يجب أن نقارن هذا الأدب مع الآداب الأخريات لنقف على علم من مواطن ضعفه أو مواطن قوّته (محسني‌نيا، ١٣٨٩: ٨٢).

١-٣. أسئلة البحث

- كيف تبلّورت مفاهيم الشّهيد والشّهادة في شعر هذين الشّاعرين؟
- ما هي السّمات المشتركة في شعرهما؟
- لو كان هناك فوارق كيف ظهرت تلك الفوارق خلال شعرهما؟

١-٤. خلفيّة البحث

وفيما يتعلّق بأهمّيّة وخلفيّة البحث فإنّ هذين الشّاعرين اشتهرا في الأدبين الفلسطيني والإيراني بشاعريْ المقاومة والنّضال، ويعدّ موضوع الشّهيد والشّهادة من أبرز ما ورد في أشعارهما، غير أنّه لم يتطرّق أحد لحدّ الآن إلى دراسة ملامح المقاومة خاصّة مفهوم الشّهيد والشّهادة في شعر هذين الشّاعرين ولم يقم بمقارنتهما. ومن ثمّ بسبب أهمّيّة الشّهيد والشّهادة ومكانة الأدب المقارن الّذي يكون من موضوعات الأدب المعاصر، حاولنا أن نتناول هذا المفهوم الهامّ في شعر هذين الشّاعرين لنبيّن مكانتهما في الأدب الفلسطيني والفارسي المعاصرين، آملين أن تكون هذه الدّراسة نبراسا لجميع محبّي الأدب المقارن وخاصّة أدب أحمد دحبور وسلمان هراتي.

١-٥. منهجيّة البحث والإطار النّظري

للإجابة على التّساؤلات وللوصول إلى النّتيجة استخدمنا المنهج التّوصيفي – التّحليلي على أساس الأدب المقارن الإسلامي الّذي يتطرّق الى تحليل الشّواهد الشّعريّة بشكل علمي ويهتمّ بالاشتراكات الثّقافية والعقديّة بين المسلمين، وأخيرا استطعنا أن نحصل على وجوه الاشتراك والافتراق في شعر الشّاعرين وفقا للمنهج المذكور.

٢. البحث والتّحليل

٢-١. تعريف بالشّهيد والشّهادة

الشّهادة من جذر «شهد» تعني الحضور والمعاينة وأصل الشّهادة يأتي بمعني الخبر القاطع و«أستشهد» بمعني قُتل شهيدا، و«الشّهيد» على وزن فعيل وجمعه «الشّهداء» وبمعني الحاضر والشّاهد من أسماء الله تبارك وتعالى، والشّهيد يعني الّذي لا يغيب عن علمه شيء، ويطلق على المقتول في سبيل الله جلّ وعلا (ابن منظور، ٢٠٠٥، ج ٣: ٢٣٩-٢٤٣).

تكرّرت كلمات الشّهيد والشّهادة في القرآن الكريم وعلى ما يبدو أنّ المعني اللّغوي هو المعني المراد منها، لكن كلمة قتل وجميع مشتقّاتها بالإضافة إلى «في سبيل الله» تم استخدامها في القرآن الكريم لبيان معني الشّهادة ومن ثم أن القتل في سبيل هدف مقدس وعلى تعبير القرآن، القتل في سبيل الله هو الشّهادة والّذي ينال هذه المكانة هو الشّهيد (نيرّي وخيراندیش، ١٣٨٤: ٢٠-٢١).

٢-٢. أهمّيّة الشّهيد والشّهادة من المنظور القرآني والمنظور النّبوي

الشّهادة من أكبر وأفضل المفاهيم في الثّقافة الإسلاميّة وللشّهيد مكانة مرموقة في الإسلام وعند الله تبارك وتعالى، وتحدث القرآن الكريم عن هذا المقام الشّامخ كرارا وتكرارا، منها قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنةَ يُقاتِلونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآن...» (التّوبه/ ١١١) وقوله عز من قائل: «ولا تَحسَبنَّ الّذين قُتِلوُا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزَقون.» (آل عمران/ ١٦٩)

وورد في الأحاديث النّبوية الشّريفة ما يدلّ على كرامة وعظمة مكانة الشّهيد، منها قول النّبي الّذي يقول على حدّ تعبير البخاري في صحيحه: «... والّذي نفسي بيده (لولا أنّ رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفُسهم) لوددتُ إنّي أُقتل في سبيلِ اللهِ، ثُمّ أحيا ثُم أُقتل ثُم أحيا ثُم أُقتل، ثُم أحيا ثُم أُقتل» (١٤٠٧، ج ٤: ٢١) ويذكر الحرّ العاملي رواية بأنّه «فوق كلّ ذى برٍّ، برٌّ حتّى يُقتل في سبيل الله فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ.» (١٤٠٩، ج ١١ :١٠)

٢-٣. الشّهيد والشّهادة في شعر الشّاعرينِ

٢-٣-١. حداد الشّهيد وعزائه

رغم أنّ الشّهادة والاستشهاد في ميادين القتال مفخر بل مفاخر ولكنّها يتبعها الحداد والعزاء أيضا، غير أنّ هذا الحداد وذاك العزاء من نوع آخر، من النّوع الّذي ملئه المفخرة والاعتزاز، ثمّ أنّ الحداد والعزاء في معظم الأوقات يصدران عن شعور الشّعراء المرهف الدّقيق، كما أنّ الحداد المؤلم قلّما يوجد في شعر الشّاعرين. هذا وأنّ المشاهد الّتي يرسمها الشّاعران يختلف عن بعضهما وتتفاوت إلى حدّ ما وذلك لأن الشّاعرين أدركا تصاوير ومشاهد مختلفة من الحرب والظّلم والتّعسف خلال الحرب والنّضال! فنقف على شيء من تلك الخلافات والفوارق بين الشّاعرين خلال الصّفحات المقبلة.

من أهمّ المفاهيم الّتي ظهرت في شعر أحمد دحبور وكذلك شعر سلمان هراتي، الإستمالة من عوائل الشّهداء وخاصّة أم الشّهيد ومشاطرتهم ألما وغمّا وهما! لأنّ عوائل الشّهداء وخاصّة أم الشّهيد الّتي نمت ابنها في أحضانها السّخية الحارّة وأصبح الآن متغمدا في أطنان من التّراب، واجهت وتواجهت غمّا مهلكا مميتا، ومن ثمّ يدعو شاعر المقاومة الشّعب جميعا أن يقلّلوا من شدّة آلام عوائل الشّهداء عن طريق إقامة مراسم العزاء والحداد لهم وبيان ما لهم من المكانة والرّفعة والعلو! فانظر على سبيل المثال إلى شعر أحمد دحبور حيث يقول:

فبأيّ الوجوه نقابل أمّ الشّهيد؟ الا استعير/ غُرابا ليأسى المُوقت يسأل: فيم تُزغرد أمّ الشّهيد؟/ أنا أعلن ألآن وقت البكاء/ يا نساء الفلسطين لا حرج إن بكيتنّ مُرّ البكاء/ وقّتن روحي على دمعكنّ/ وهاجمنّ هذي التّوابيت/ واكشفنّ عن زين إخوتنا الأغطيه/ إنّ نار الغريب مقدّمة الشّهدا (١٩٨٣: ٧٢٩).

ومن الواضح أنّ الشّاعر يختلجه شيء من الخجل والحياء أن يظهر أمام أمّ الشّهيد ومن ثمّ يحاول أن يستمدّ في ذلك من الغراب لكي يأسو أمّ الشّهيد، ثمّ أنّ الشّاعر يرى غم الشّهادة وألم فقدان الولد، كبيراً إلى درجة أنّه يدعو جميع النّسوة الفلسطينيات أن يقُمن مراسم الحداد والعزاء للشّهيد ويسكبن الدّموع له ولموته الشّريف!

والحكاية هي الحكاية نفسها في شعر سلمان هراتي حيث يريد أن يشاطر عوائل الشّهداء وخاصّة أمّ الشّهيد ألما وحزنا.بما أنّ له صلة متينة بالطّبيعة ومختلف ظواهرها، يخلق تصاوير جميلة ومحبّبة من الشّهادة والموت في ساحات القتال عن طريق الطّبيعة وجمالها المفتون، ثمّ يريد التّنفيس عن نفس الأم عن طريق بيان مكارم الشّهيد وكرامته وسموّ منزلته (خادمي كولايي، ١٣٨٥: ١٤١). أمّا سلمان هراتي فخلافا لأحمد دحبور لا يدعو النّاس ولا يدعو أمّ الشّهيد إلى إقامة مراسم الحداد لشهيد والعزاء على فقدانه، وانّما يسعي أن يخرج الأم من الألم والحزن المميت النّاجم عن موت الشّهيد عن طريق بيان مكارمه ومنزلته الرّفيعة عند الله تبارك وتعالى:

ای مادران شهید/ سوگوار کهاید؟/ دلتنگیتان مباد/ آنان درختانند/ بارانند/ آنان/ نیلوفرانند/ که از دستان خدا برخوردارند/ آبیاند/ آسمانیاند/ نه تو و نه من نمیدانیم/ فراتر از دانایی‌اند روشنایی‌اند/ ...آنان در همیشه‌ای از بهار ایستاده‌اند/ بی‌مرگ (١٣٨٧: ١٥٣-١٥٥).

(التّرجمة: يا أمّهات الشّهداء!/ لِمَن يقمن العزاء؟/ لا سمح الله أن تتضايق صدوركنّ من بعد الشّهداء/ لأنّهم أشجار/ لأنّهم أمطار/ لأنّهم ورود وزهور!/ هم يتمتّعون بعناية الله/ فهم ليسوا من أهل الأرض وإنّما من أهل السّماء/ ولكنّنا لا نعلم نحن/ فهم أكبر من الدّنيا وما فيها/ لأنّهم

نور وضياء/ وإنّهم واقفون على أعتاب الرّبيع ولا يموتون يوماً من الأيّام.)

غير أنّ الظّاهر البيّن في شعر أحمد دحبور إبراز ألم موت الشّهيد، لأنّه يريد أن تنسكب الدّموع على الشّهيد، كما أنّه يصوّر الشّهيد الفلسطيني بكلّ مظلوميّته وفقره. كأنّه يريد بذلك أن ينتبه العالم كلّه إلى مأساة فلسطين وما لاقاه الشّعب الفلسطيني من العدوّ الصّهيوني الغاشم من ظلم وتعسف ولذلك يتألّم الفقراء في شعره لموت الشّهداء وينوحون لهم، كما يعتبر موت القائد والمجاهد الفلسطيني «ابو علي مصطفي» بلاء ليس بعده بلاء!

إذن ليس دما هذا/ وليس الخشب الملفوف بالرّاية نعشا/ بل هو الرّؤية والرّؤيا/ هو الخبز الّذي نحيا عليه/ فتعالوا أيّها الجوعى إليه/ سيّد المشهد لا يرحل (٢٠٠٤: ٩٢).

وأمّا سلمان هراتي فيضيق صدره لموت الشّهيد ولكنّه لبيان ذلك وتعبير عن هذا الحادث يستمدّ من عناصر الطّبيعة ومشاهدها، ويجسّم الشّهيد في عناصر الطّبيعة. هذا وأن غيبوبة الشّهيد للشّاعر صعب مستصعب، لأن الشّهيد هو الّذي ينير الطّريق وينوّره للآخرين، ورغم أنّه مدفون ومغمور الآن تحت أطنان من التّراب الثّقيل، لكنّه يغسل التّراب بدمه النّقي الطّاهر ويزيل أرجاسه وأدناسه!

باغ را دريابيد/ رفت آن چشم كه دلواپس فرداها بود/ باغ را دريابيد غيبت چشمانش سنگين است/ چشم‌هامان چه گناهى كردند؟/ كه از اين پس بايد/ بى‌چراغ روشن باغ را بشناسند/ باغ را دريابيد/ اين سوارى كه به خاك افتاده است/ طاقت طايفهٔ طوفان بود/ آه اين خون جوان/ خاك را خواهد شست (١٣٨٧: ٢٣٨-٢٣٩).

(التّرجمة: صونوا الحديقة/ فقد ذهبت هذه العين الّتي كانت تحزن للغد والأيّام المقبلة/ صونوا الحديقة لأنّ غيبوبة عيونه ثقيلة جدّا/ ما هو ذنب عيوننا؟/ من أن تعرف الحديقة دون نبراس من بعده؟/ صونوا الحديقة/ فهذا الرّاكب الّذي سقط شهيدا على التّراب/ كان قدرة طائفة الطّوفان/ آه، هذا الدّم النّقي سوف يغسل هذا التّراب.)

وفي موضع آخر يتأسّف سلمان هراتي على فقدان الشّهيد بين النّاس، وأسفه ليس للشّهيد نفسه وإنّما للشّعب الّذي كان يأمل أن يظهر الشّهيد بينهم ليستفيدوا من نوره وضوءه، غير أنّه في الحقيقة رحل بين النّاس وتركهم ولكن آثار أياديه لا تزال تنتشر بعد!

من از ابتداى تو فهميده بودم/ كه يک روز خورشيد را خواهى آورد/ دريغا تو رفتى/ هراسى ندارم/ مهم نيست/ اى دوست/ خدا دست‌هاى تو را/ منتشر كرد (المصدر نفسه: ١٢٦).

(التّرجمة: كنت قد فهمت منذ البداية/ بأنّك تأتي بالشّمس يوما ما/ ولكنّك ومع شديد الأسف رحلت/ ولا أخاف، وليس مهما/ أيّها الصّديق/ إن الله جل وعلا قد نشر أياديك.)

كثيراً مّا حلّ بالشّعراء أن يفحموا، ويعجزوا عن قول بيت شعر واحد لحظة الحزن الشّديد مثل هذه اللّحظة المؤلمة حدثت «لبشّار بن برد» عندما توفّي إبنه، فردد أبيات «جرير» الشّاعر في رثاء إبنه وأصاب أحمد دحبور ما أصاب «بشّاراً» وهو يريد التّنفيس عن نفسه فلجأ «لليلى بنت طريف التّغلبية» وهي ترثي أخاها «الوليد بن طريف»، فتقول:

أيا شـجر الخـابور مالـک مورقـا كأنّـک لم تجـزع علـى ابـن طريـف

(الزّركلي، ١٩٨٠: ١٢٨)

يظلّ الحزن يلحّ على الشّاعر أحمد دحبور، وإذا ما استرجع ذاكرته، وثقافته الأدبيّة القديمة، سرعان ما تسعفه هذه الثّقافة

بالوسائل الّتي تساعده على التّعبير، وكان لدى النّساء الشّواعر الرّصيد الغنى بالحزن والعاطفة الجيّاشة الّتي يجد فيها الشّاعر مناسبة للمقام الّذي يريد الحديث عنه.ويجد في بيتها ملائمة تامّة، فيرويه كما هو مع تعديل في كلمة «الخابور» بالدّامور وهى مطابقة بها وزناً وقافية و«ابن الطريف» بموت فدائي (حور، ١٩٨٨: ١١) فيقول:

فيا شجر الدّامور مالک مورقا/ کأنک لم تسمع بموت فدائی (دحبور، ١٩٨٣: ٥٦٤).

يعتقد دحبور أنّ الطّبيعة شريكة له في حداده على الشّهيد أيضا، لهذا يؤنّب شجر الدّامور قائلاً لماذا ألبست لباس الخضر والشّهيد الفدائي التحق بدار الرّضوان؟ كأنّ الشّاعر أصاب لموت الفدائي بالحزن الشّديد وهذا يريد من الطّبيعة أن لا تظهر بلباس الرّبيع والخضارة وأنّما يجب عليها أن تلبس بثوب السّواد والعزاء!

غير أنّ سلمان هراتي فضلا عن أنّه لا يتأسّف على موت الشّهيد، يعتبر حداد الشّهيد عيدا واحتفالا له! بل هو يرى أن النّاس هم الّذين يجب عليهم البكاء لأنّهم لم يستطيوا أن يلتحقوا بهؤلاء الشّهداء وفقدوا هذه الشّمس السّاطعة المنوّرة! خاض هراتي في غمار هذا الوصف العريق الجميل خلال شعره الشّهير «**سرود برای مردی فروتن**» (أنشودة لرجل خاضع) والّتي خصّها لرثاء الشّهيد «رجائى» وتحدّث فيه عن بساطته وبساطة حياته:

ما نشان صلابت تو را/ در چهره‌های نذیران تاریخ دیده‌ایم/ یاران به سوگ تو، نه/ به سوگ تودهٔ مردم نشسته‌اند/ مردم به سوگ تو، نه/ به جشن شهادت نشسته‌اند/ عیب تو این بود/ ای برادر مردم/ که زندگی را ساده زیستی (١٣٦٧/ ب: ٤٦).

(التّرجمة: فقد رأينا علامة صلابتك وقوّتك في وجوه النّاريخ/ وأن الأصحاب أقاموا مراسم الحداد والعزاء لك، لا ثمّ لا وإنّما أقاموها للنّاس/ والنّاس أقاموا مراسم الحداد لك، لا ثمّ لا، بل إنّما أقاموا حفلات الشّهادة/ وكان عيبك أيّها الأخ الكريم/ أنّك عشت الحياة بكلّ بساطة.)

توضّح المقارنة بين شعر الشّاعرين فيما يخصّ بنظرتهم إلى مسألة الشّهيد والشّهادة، وجوه الفرق بين الشّاعرين، بحيث أنّنا نستطيع أن نلاحظ الألم والهموم في شعر أحمد دحبور بوضوح وجلاء تامين، غير أننا نجد الشّهيد في شعر سلمان هراتي سعيدا مفلحا ويحصر هو الألم في حياة الأحياء لا في حياة الأموات، حيث يعتقد بأنّ الشّهيد يجب تكريمه وتهنئته لشهادة ووصوله إلى هذه الدّرجة العالية! ولعلّنا نستطيع أن نوضّح هذا الفارق والخلاف بين الشّاعرين في الأوضاع السّياسيّة وما أحاط بهما من تطوّرات وأحداث، لأنّ الحرب المفروضة انتهت بفوز إيران غير أنّ الحرب الفلسطينيّة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا والشّاعر يحاول أن يشعل نار المقاومة والنّضال في أحاسيس الشّعب الفلسطيني ضدّ العدوّ الصّهيوني الغاصب بعد إشارته إلى مظلوميّة الفلسطينيين وما ينزل في حقّهم من تعسف.

٢-٣-٢. خلود الشّهيد

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان بين خيارين «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» (بلد/ ١٠) وقسّم النّاس إلى فريقين «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» (إنسان/ ٣)، فالشّاكرون من فريق الخير، وهو حزب الله، والكفور من فريق الشّرّ، وهو حزب الشّيطان، ثمّ بين مصير كلّ حزب، فقال الله عن حزب الله: «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (مجادلة/ ٢٢) وذكر في حزب الشّيطان فقال: «إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (زمر/ ١٩) وقد سنّ الله تعالى أن يكون صراع مرير ومتواصل بين هذين الحزبين إلى يوم القيامة، ولهذا الصّراع توابعه ومستلزماته وأدواته وأهدافه، ومن هنا فرض الجهاد ليثبت الخير، ويحقّ الحق، وينشر العدل في الأرض.

ومن الطّبيعي أن يترتّب على هذا الصّراع نتائج منه الموت والدّمار وهنا لابدّ من وقفة مع هذا الموت، فالموت في عرف أهل

الشّرّ هو النّهاية والفناء الأبدى، بمعنى أنّهم لا يؤمنون بأنّ بعد الموت حياة أخرى، أمّا إسلام فيُسمّى الموت النّاتج عن هذا الصّراع شهادة والمصروع يُسمّى شهيداً، وهذه قضية هامّة جدّاً في دين الإسلام، بأن يرى الإسلام أنّ الحياة الحقيقية هي الآخرة ويؤكّد الله جلّ وعلا في محكم كتابه العزيز على أنّ الشّهداء أحياء عند ربّهم ونحن لا ندرك ذلك: «وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُون» (بقرة/ ١٥٤)

يعلمنا الإسلام درساً كبيراً في هذه الآية الكريمة وأمثالها، وهو أن الشّهادة في سبيل الله ولإحقاق حقوق المظلومين وإقامة العدل، لا تعني الموت والفناء أبدا، وانّما تعني السّعادة والفلاح في الحياة الأخرى (مكارم شيرازي، ١٣٧٤، ج ١: ٥٢٣). والحق أنّ المسلمين لو قرأؤوا هذه الآيات وعرفوا مكانة الشّهيد والشّهادة في سبيل الله لوقفوا في وجه الظّلم والتّعسف بكلّ شجاعة ولأبعدوا عن أنفسهم الخوف من الأعداء، لأنّ صفة الحياة الّتي أنعمها الله على الشّهيد صفة جامعة لجميع النّعم والفضائل.

وأمّا عن شعراء المقاومة فهم رسموا ألواح مختلفة جميلة عن الشّهيد والشّهادة خلال أشعارهم مستلهمين من القرآن الكريم، فها هو أحمد دحبور لا يعتبر من يموت في سبيل تحقيق الحرّيّة والأهداف الكبيرة السّامية ميتا، وإنّما يعتقد بحياته الخالدة ولهذا السّبب إنّ الشّهيد في شعره ظاهرة تبتعد عن الزّوال وطائرة تطير نحو الخلود والأبديّة على الدّوام!

يقتلونک في الصّباح وفي المساء/ ... لكن الصّباح يعيد واقعة انبعاثک مرّة أخرى/ فيرتجفون/ تعطيهم لسانک ساخرا فيغمغمون:/ ألا يموت اللّاجئون؟/ قل لا يموت اللّاجئون.../ فعزّ الدّين سوف يكون عزّ الدّين/ إن عزّ الوصول إليه يبتكر الطّريقة وهو من يأتي إلينا/ دمه يوحّدنا، يجرّبنا، فإن لم نستطعه فإنّما دمه علينا (١٩٨٣: ٥٧٣-٥٧٨).

قال الشّاعر هذا الشّعر في رثاء عزّ الدّين القلق – وهو كان ممّن شرّد وهُجّر عن أرضه فلسطين المحتلّة – حيث أن الشّاعر يحذر قاتليه ومعتديه، لأنّه رمز لجميع المشرّدين الفلسطينيين ولا يموت يوما من الأيّام، ويقاوم أمام الأعداء ويكافحهم بسلاح دمه المسفوك، بالسّلاح الّذي يفوق قدرته قدرة كلّ سلاح! لأنّ الشّهيد وموت الشّهيد يأتي بثمار الوحدة ولمّ الشّمل بين أبناء الفلسطينيين، وإن لم يتّحد أبناء الفلسطين فهذا الدّم مهدور عبثا! ووزره يثقّل كاهلهم حتّى انقطاع النّفس.

وهراتي شاعر المقاومة الإيراني وفقا لاعتقاده القرآني يعتبر الشّهداء أحياء، حيث شبّه الشّهيد في شعره «دستور» بنهر أحمر له جريان إلى الأبد:

و نهاد بخشی از جمله که دربارهٔ آن خبری می‌شنویم/ و گزاره خبر است/ مثل این جمله «شهید رود سرخی است که تا ابدیّت جاری است (١٣٦٧/ الف: ٣٣).

(التّرجمة: المبتدأ قسم من الجملة والّذي نسمع عنه خبرا/ والخبر هو الّذي ينطق عن المبتدأ/ كالجملة التّالية: الشّهيد نهر أحمر له جريان إلى الأبدية.)

بما أنّ سلمان هراتي عاش في البيئة الرّيفيّة، له إرتباط وثيق مع الطّبيعة، بحيث أن الشّاعر يستلهم معظم أشعاره من الطّبيعة ومن ثمّ يصبغ الخلود في شعره بصبغة خاصّة فريدة يلتصق بالطّبيعة إلتصاقا كبيرا، ويرى أن الطّبيعة لا يلحقها الفناء والموت، حيث تنوم في فصل وتستيقظ في فصل آخر، فالشّهيد أيضا لا يلحقه الموت والفناء أبدا.

خواب پیشانی او مثل خاموشی فکری تازه است/ در دل خاک بکارید او را/ شوق سر بر کردن با خاک است/ و گلی که از این پس باران/ با لبی تشنه بر او می‌بارد/ ... ما می‌افشانیمت/ در گذرگاه نسیم و باران/ تا بروید درختانی در طوفان‌ها/... گل چه پایان قشنگی دارد (المصدر نفسه: ٧٠-٧١).

(التّرجمة: النّوم في جبهته كخمود فكرة جديدة/ فازرعوه في قلب التّراب/ في التّراب حنين إلى النّمو والحياة/ ووردة يمطر عليه المطر بشفاه متعطّشة/ ... نحن نزرعك/ في ممرّ النّسيم والمطر/ لكي تنمو أشجار في العواصف والسّيول/ ... ما أجمل مصير الورد.)

من هذا المنطلق إن الشّاعر لا يستفيد للشّهيد من تعبير «الدّفن في التّراب» وإنّما يوظّف تعبير «الزّرع في التّراب» لأنّه بون شاسع بين هذين المصطلحين، لهذا عندما ندفن شيئا في التّراب لا نعتقد بحياته الجديده، لكن إن نزرع شيئا في التّراب نعتقد بأنّه يبعث من جديد ويستمرّ في حياته ونموّه.

الملاحظ أن أحمد دحبور يوظف هذا المغزي أو قريبه لشهيد فؤاد زيدان – وهو كان من قوات العصابة الفلسطينيّة – حيث أنّ هذا الشّهيد يثور على الفناء والموت ورغم إصابته بالكثير من الجراحات والصّدمات ولكنّه يتشبّث بالنّور والهداية ويخرج من قلب التّراب ليظهر من جديد:

هذى الورود جروحى/ وهذى اللّتى شاءها اللّيل زنبقةً، قبضتى/ كلّما قتلونى تشبّثتُ بالضّوء/ وانبثقت قبضتى من صميم التّراب (١٩٨٣: ٣٥٥).

يؤكّد الشّاعر في وصف الشّهيد على صفة المقاومة ويوّضح أن الشّهادة مقاومة مستمرّة، وأن شهداء لا يموتون، وإنّما هم واقفون وقوف الأحياء، ومن ثمّ يدرج الشّاعر، الشّهيد فؤاد وزملائه في شعره الشّهير «الفؤاد ينشر أسراره» في زمرة الأحياء، ويشبّههم بالزّنبق الّذي يخرج من قلب التّراب ويخضر كلّ فضاء ومكان، ولهذا أن هؤلاء الشّهداء يتحفون الأحياء بتحفة الحياة والحرّيّة والأمل، تلك التّحفة الّتي ظهرت خلال اللّون الأخضر.

ولعصفورة الفهد موعدها/ يتقدّم وعل/ فيأتى الثّلاثة في موكب الفقراء/ وتنهض زنبقة في مدار أسير/ يصافحها الواصلون فينهدم الأسر/ والارض تخضر/ تخضر/ تخضر حتّى تحاذى السّماء (المصدر نفسه: ٣٦٠).

بما أنّ تأبين الشّهداء والاحتفال بذاكرهم من أهمّ ما يطرق إليه شعراء المقاومة على العموم فليس «سلمان هراتي» باستثناء من هذا الأمر أيضا، حيث أنّه تناول هذا الموضوع – أعني تكريم الشّهداء وتأبينهم – في أشعاره كرارا وتكرارا وجعل الشّهداء في الأبيات التّالية ربيعاً خالداً وشمسا لها إشفاق وحرارة كأنّما تنبت الألوف من الأزهار والورود في ضحكتهم.

شهيدان يک بهار جاودانند/ که چون خورشيد گرم و مهربانند/ ميان دفتر نقّاشی ما/ به يک لبخند، صد گل می‌فشانند (١٣٦٧/ الف: ٢٠).

(التّرجمة، الشّهداء ربيع خالد/ وهم مشفقون كالشّمس الحارّة/ وبين دفاتر رسمنا/ يرسمون المئات من الزّهور والورود في ضحكتهم.)

أمّا أحمد دحبور فلا يعتقد باستمرار الحياة وديمومتها إلّا في ظلّ الشّهداء ويرى أنّ الحياة في البعد عن الشّهداء ضيقة متمزّقة الأوصال، وأينما قدم الشّهيد تتّسع الحياة، لأنّه لا يموت ولا يفني وهو حيّ مادامت السّموات والأرض ولا يصل إليه يد الموت والفناء أبدا.

وسع البلاد ولم يَسَعه الموت/ فاحتفلوا بموتٍ ضيقٍ متمزّقِ الأوصال/ واتّسعت حياة حيثُما ذهب الشّهيد/ ذهب الّذين أحبُهم ... ذهب العديد/ وبقيتُ (١٩٨٣: ٧٧١).

يستفيد أحمد دحبور في الشّعر السّالف من البيت، ومن شخصية عمرو بن معدي كرب بتوظيفهما في قصيدة «فلسطين الهوى» وموضوعها قصّة شهيد فدى نفسه وحياته في سبيل هواه إلى الوطن والدّفاع عنه، فكان يحذو حذو عمرو بن معدي كرب الّذي قضى وهو يجاهد في سبيل هواه ايضاً دفاعا عن الرّسالة المحمّدية ورغبة في ذيوعها وانتشارها (حور، ١٩٨٨: ١٢) وهذا بيته

الشّهير:

ذهـــب الّـــذين أحـــبّهم وبقيــتُ مثــل السّــيف فــردا

(الطرابيشي، ١٩٨٥: ٨٢)

والقول الموجز عند مقارنة مفهوم الشّهيد والشّهادة لدى الشّاعرين أنّ كليهما استخدموا هذا المفهوم استخداما بارزا كبيرا واعتمدوا في بيانه على عقائدهم الدّينيّة والآيات القرآنية والأحاديث الشّريفة، ثمّ أن كليهما يرتبط الشّهيد بعناصر الطّعبية ومختلف مظاهرها ويستلهمون من الطّبيعة لبيان تلك الخلجانات، غير أنّ نظرة سلمان هراتي إلى الطّبيعة نظرة متّسعة مترامية إلى أبعد الحدود وهو يصوّر الطّبيعة ليست كما هي في الواقع وإنّما كالّتي يريدها ويراها، هذه الميّزة هي أصبغت شعر الشّاعر بالرّومانسيّة إلى أبعد الحدود والّتي ظهرت في جميع موضوعات الشّاعر الشّعريّة.

٢-٣-٣. المجاهدون وطلب الشّهادة

الإنسان يحبّ الخلود بالفطرة ويهرب من الفناء والزّوال، وعلى الرّغم من أنّ دافع البقاء مجبولة في الذّات البشريّة غير أنّ البشر قد يفرّ من هذا الطّلب النّفساني فرارا ويقوم بانتحار نفسه لسببين رئيسين وهما: أن يكون الإنسان في ظروف صعبة مستصعبة ولم يكن يتحمّل المشاق والمصاعب الّتي دخلت عليه ومن ثم يفضل الفناء على البقاء وهذا العمل يدرج في خانة المحرمات والمنهيات عند جميع الفرق والمذاهب والنّحل. ولكنّه قد يحين الوقت أن يفضل الإنسان الموت في سبيل أهدافه ومبتغياته المطلوبة وهذا النّوع الشّريف من الموت لا يوجد إلّا عند كبار الرّجال وشرفائهم حيث أنّهم يستقبلون الموت ويرحّبون به لأهدافهم الطّيبة واعتقاداتهم الرّاسخة حتّى تبقي وتدوم! وهذا الخيار عند الشّرفاء خيار طيب شريف محبّب إلى أبعد الحدود، فهم يعتقدون أنّ هناك خطوة للوصول إلى المعشوق الأزلي المحبب وهي الشّهادة والموت في سبيل الله الرّحمن (طاهري، ١٣٧٨: ١٠٧).

قد صوّر شعراء المقاومة هذا النّوع من الاستشهاد البطولي خلال أشعارهم، ومجدوا بإيثار الشّهداء وتضحياتهم العجيبة. قد عبر أحمد دحبور عن هذا المفهوم بقصّة حبّ مؤثّرة بين شاب وفتاة، وكانت بينهما خطبة وعقد قران، إلّا أنّ الشّاب حينما التحق بالعمل الفدائي رفضت خطيبته ذلك، أسمت المكان الّذي التحق به «جحيماً» وأرادت أن تثنيه عن ذلك، إلّا أنّه لم يثن، فانفصلا وذهب كلّ لحاله، أمّا بعد أن شارك الشّاب في القتال وأستشهد في الحرب، ندمت خطيبته وشاركت في مراسم تشييع جثمانه وهي لبست الأسود ولاح الخاتم المزروع في الاصبع!

وزرعنا خاتمى حب تنامى.../ وتهدم/ كيف؟ خافت من جحيم الغور/ (اسمته جحيما)/ طلبت أن أحتمى بالمكتب الدّافي/ تحاورنا/سدى.. لم يبق شيء/ يبست نرجسة بين اليدين/ والّتي احببته خافت على/ فنزعنا الخاتمين/ بعد أن دوى الرّصاص المريكى الموشى بالطّلاء الهاشمي/ نحن في أربد، شيعنا مجاهد/ كان محمولا على الأهداب/ شاهدت صبيه/ تلبس الأسود/ لاح الخاتم المزروع في الإصبع/ شيئا من مجاهد (١٩٨٣: ٢٤٢-٢٤٣).

الحرب والدّفاع المقدس مزيجة بالشّهادة والتّضحية ولا يتشكّل شعر المقاومة إلّا عن طريق هذه الثّقافة العريقة وقد خصّ الشّعراء المعاصرون جما غفيرا من أشعارهم لتلك المفاهيم الرّفيعة السّامية وصوّروا تصاوير ولوحات مختلفة عن مفهوم الشّهادة والشّهيد. يشير سلمان هراتي في قصيدته «**سبكبارتر از ابر**: أخفّ من السّحاب» إلى الشّهيد الّذي يرمز الإيثار والتّضحية والعظمة:

١. بی‌مرگ سواران شب حادثه‌هاییـد خورشـید نگاهیـد و در آفـاق رهاییـد

٢. مرداب كجا فرصت پيداشدنش هست آنگاه كه چون موج از اين بحر برآييد

٣. چون صخره صبوريد شب شيطنت باد رنجوريتان نيست از اين فكر رهاييد

(١٣٦٧/ ب: ٧٨)

(التّرجمة: ١. لا يأتيكم الموت! وأنتم ركاب الحوادث، وأنتم شمس تنير الآفاق. ٢. كيف يستطيع الغدير من الظّهور وأنتم كالأمواج الهائلة تخرجون من البحر المتلاطم؟ ٣. فأنتم صابرون كالصّخرة الصّمّاء عند هبوب الرّياح القوية المدمرة، فأنتم لا تحزنون وفارغون من الضّعف والمذلّة.)

ليست الشّهادة في حضارة الشّعراء موتاً تمّ فرضه على الشّهيد عنوة وإجبارا، بل إنّما الشّهادة طريقة يختارها المجاهد أو الشّهيد عن وعي وعلم وبكلّ شجاعة وبسالة، ولهذا السّبب بالذّات أن الشّهيد يستقبل الموت ويرحب به وهو راض عن موته في سبيل هدفه وهواه وتسليم لأمر ربّه الغفور الرّحيم:

كيف يا فاتنة العينين، يا طوباس،عانقت المقاتل؟/ كان منثورا على الارض شظايا فتلملم/ كان نهرا من رضى في شفتيه يتقدّم/ وطنى... يا حلو... تسلم (دحبور، ١٩٨٣ :١٩١).

«لقد جاءت الشّهادة هنا تفوقاً إيجابياً على الحزن، ومنثم نسجت الشّعريّة خيوط صورتها من مشاعر رومانسيّة نلقاها في قصص العاشقين وجاءت تتفوّق على الموت بما أودع فيها الشّاعر من معانى البركة والنّماء والحياة.» (زرقه، ٢٠٠٣: ٢٢٧). وبذلك إستطاع الشّاعر من خلق تصاوير جميلة! حيث أنّه شبّه المجاهد الّذي قد تلطخ جسمه بالدّم إلى عشيقة وقعت في ذراع حبيبه «طوياس» بكلّ فرح ومرح وملئها الضّحك والاشتياق.

إنّما الاستشهاد عند الشّاعر هو بمنزلة إزالة العوائق والفواصل بين العاشق والمعشوق، وليس حائل بينهما إلّا خطوة الموت والفداء في سبيل هواه، ولو تحقّق ذلك لتحقّق هذا القرب وذاك الوصال. صوّر هراتي هذا التّصوير الجيمل في رباعيّته التّالية:

١. بـا نيّـت عشـق بـار بسـتند همـه از خانـه و خانمـان گسسـتند همـه

٢. لّبيـك چـو گفتنـد بـه سـردار سـحر يـكبـاره حصـار شـب شكسـتند همـه

(هراتي، ١٣٨٧: ٦٣)

(التّرجمة: ١. فالكلّ رحل الدّنيا الدّنيّة بنيات صافية طاهرة، وتركوا بيوتهم ومنازلهم، ٢. فلبّوا دعوة الرّب الكريم تلبية وخرقوا حصار اللّيل والظّلمة بالمرّة.)

والقول الموجز في هذا القسم أنّ طلب الشّهادة والاستشهاد تبلور في شعر كلا الشّاعرين تبلورا واضحا ملموسا، ومجّد كلّ من الشّاعرين كرامة الشّهيد ومقامه الشّامخ السّامي وشجاعته واستبساله وتضحيته.

٢-٣-٤. الشّعراء وتمنّى الشّهادة

يتمنّي الشّعراء فضلاً عن وصف اشتياق المجاهدين والمناضلين للشّهادة أن يستشهدوا في ساحات القتال وينالوا إلى مكانة الشّهادة أيضا، ومن هنا كرامة الشّهادة تسبّب أن يظهر هذا المفهوم الرّفيع في شعر شعراء المقاومة خاصّة أحمد دحبور وسلمان هراتي اللّذين ناضلا في ميادين القتال والجهاد ظهورا قويّا بارزا، وهذا أحمد دحبور يحبّ الشّهادة إلى درجة أنّه يتمنّاها، ويرى نفسه كالشّهيد «عزّ الدّين القسّام» في الوصول إلى الشّهادة، ويتلذّذ من هذا التّماهي العجيب في خياله المرهف الدّقيق:

وتراءى لي أنّي عزّ الدّين القسّام/ ناديت الأهلين/ صلّيت بهم في جامع شعب فلسطين/ وطلعنا نستوحى بالبارود الآيات/

وصلاة تصلح في كلّ الأوقات (١٩٨٣: ٢٧٥).

وأمّا شاعر المقاومة الإيراني سلمان هراتي فهو رغم أنّه لم يُستشهد في الحرب المفروضة ولكنّه كان يحبّ الشّهادة والموت في سبيل الله وهذه الأمنيّة هي الّتي جعلت من سلمان هراتي أن يضيق صدره لبعده عن الجبهة ومن ثمّ يأمل أن يكون فيها، لأنّه سئم من المدينة وضوضائها ولأنّ المدينة مفروشة بالقيود والسّلاسل، غير أنّ الجبهة كلّها الحرّيّة والانطلاق (ترابي، ١٣٨١: ١٧٤).

دلم برای جبهه تنگ شده است/ چقدر صداقت نیست/ چقدر شقایق‌ها را ندیده می گیریم/ حس می کنم سرم سنگین است/ امروز دوباره کسی را آوردند که سر نداشت (هراتي، ١٣٨٧: ١٠٢-١٠٣).

(التّرجمة: تضايق صدري للذّهاب إلى الجبهة وميدان القتال/ ما أكثر ما غابت الصّداقة فينا/ ما أكثر ما لا نهتمّ إلى الورود والشّهداء/ أشعر أنّ رأسي يوجعني/ واليوم من جديد جاؤوا بأحد لم يكن له رأس.)

ولا شكّ أنّ الشّعراء الّذين شاركوا في ميادين القتال والنّضال صوّروا في أشعارهم شوقهم وحنينهم إلى الاستشهاد، أكثر من الآخرين، حيث أنّ هؤلاء الشّعراء وإن لم ينالوا إلى هذه الدّرجة السّامية الرّفيعة درجة الشّهادة فهم يغبطون لها ويتمنونها في سويداء قلوبهم، وسلمان هراتي من جملة هؤلاء الشّعراء الّذين شارك في ميادين القتال ضدّ المعتدين ولكنّه لم يصل إلى درجة الشّهادة ولذلك يتمني الوصول إلى هذا المقام الكريم، ويأمل أن يختاره الله تبارك وتعالى ويجعله في ضمن الشّهداء الّذين بذلوا بأغلي ما في حياتهم لإعلاء هدفهم ودين الله القويم. لهذا يقول في قصيدة «آرزو: الأمنية»:

١. کاش می‌شد که پریشان تو باشم	یا نباشم یا که از آن تو باشم
٢. تو چنان ابر طربناک بباری	من همه تشنهٔ باران تو باشم
٣. در افق‌های تماشای نگاهت	سبزی باغ و بهاران تو باشم
٤. تا درآیی و گلی را بگزینی	من همان غنچهٔ خندان تو باشم
٥. چون که فردا شد و خورشید کدر شد	من هم از جمله شهیدان تو باشم

(المصدر نفسه: ٢٥)

(التّرجمة: ١. يا ليتني كنت متألّماً عن فراقك، ويا ليتني كنت معدوماً أو كنت موجوداً لك وحدك، ٢. حتّى تمطر كالسّحاب الممطر، لأنّني ظمئان مطرك الدّائم، ٣. ويا ليتني كنت في آفاق نظرتك كالخضرة والرّبيع، ٤. ويا ليتني كنت برعمك قبل أن تختار وردك المحبّب، ٥. حتّى إذا حان الغد وانكدرت الشّمس أن أكون من جملة شهدائك العظام.)

ولكن أحمد دحبور يجد نفسه في ضوضاء الحرب والنّضال، ويحارب المعتدين الضّالّين، ولا يرى الشّهادة كفرصة فقدها بل يسعى أن يستقرّ الأمن والسّلام حتّى لا تبقي أثر من الظّلم والجريمة، لهذا يصرح جهراً أنّه لو لم تتحقّق هذه الأمنيّة – أعني أمنيّة استقرار السّلام والأمن- يرحب بالشّهادة عن سويداء قلبه ويصير نفسه شهيد حميدو:

قتلوا من جديد حميدو؟ إنّهم يقتلون/ وإنّي أحاول أن أتكلّم باسمك/ حتّى تكف الجريمة/ أو أن أصير بدوري حميدو (١٩٨٣: ٧٠٦).

وأمّا سلمان هراتي بعد أن استقر الأمن والسّلام وبعد أن وضع الحرب أوزارها فلا يأمل أن تشرق شمس الشّهادة بعد، ولهذا السّبب بالذّات يصيبه شعور النّوستالجية والحنين إلى جميع النّعم الّتي يتنعم بها الشّهداء دونه! (عزيزيان، ١٣٨٩: ٣٧). ولذلك

يتأسّف على فوات هذه الفرصة لكي يخرج من إسارة التّراب إلى آفاق السّماء الرّحبة اللّامتناهية، يصف الشّاعر هذه الحالة كالتّالي:

دلم گرفته از اين روزها، دلم تنگ است/ ميان ما و رسيدن هزار فرسنگ است/ مرا گشايش چندين دريچه كافى نيست/ هزار عرصه براى پريدنم تنگ است/ اسير خاكم و پرواز سرنوشتم بود/ فروپريدن و در خاك بودنم ننگ است.../ مرا به زاويهٔ باغ عشق مهمان كن/ در اين هزاره فقط عشق پاك و بى‌رنگ است (١٣٨٧: ٤٠).

(التّرجمة: سئمت هذه الأيّام، وتضايق صدري/ بيني وبين الوصول آلاف الفراسخ/ لا يكفيني أن تُفتح على بعضُ النّوافذ فحسب/ لأنّ ألوف المنصات لا تكفيني لطيراني/ فإنّني أسير التّراب، وكان الطّيران مصيري/ فالسّقوط أو الهبوط في التّراب مذلّة بالنّسبة لي/ أضفني إلى زاوية حديقة الحبّ/ وبين جميع تلك المظاهر، الحبّ هو النّقي الطّاهر فحسب.)

وأمّا أحمد دحبور فهو متحيّر مستغرب من اسمه، فهو يبحث عن اسم يناسبه، ولا يجد أفضل من اسم الشّهيد وحتّى يسمّي أولاد جميع النّسوة الحاملات شهيدا:

عندما سميتِ باسمي شارعا ومشيتِ فيه.../ اعترفتُ لديک:إنّى حائر باسمى/ وأحرجُ منه.../ أنت بريئةُ واسمي شهيد/ والمرأةُ الحبلى – كما تدرين – قامت بالسّلامة. نسلها أيضا شهيد/ وبكلّ أوجاع الشّهادة صحتُ: أين العدل؟ (١٩٨٣: ٧٤٩-٧٥٠)

فهذا أحمد دحبور قد بيّن في أشعاره شوقه وحنينه إلى الشّهادة ملحوظا وتفاءل بالشّهداء واختار اسم الشّهيد لنفسه ومن هنا لا يرى الشّهادة أملا أو أمنيّة.غير أن سلمان هراتي بقي في هذا الحبس الارضي ولم يتمكّن من أن يساير قافلة الشّهداء، ولم ولا يزل ترافقه أمنيّة الشّهادة والموت في سبيل الله، ومن ثمّ إختلجه – كما أشرنا – شعور نوستالجي ملأ كلّ شعره، ذلك الشّعور الّذي ينطق عن ألمه وحسرته لعدم التحاقه بقافلة الشّهداء:

١. آن روز نبوديم كه اين قافله مى‌رفت با ما كه نبوديم بگوييد كجاييد

٢. مانديم و نرانديم، نشستيم و شكستيم رفتيم و شنيديم شهيدان خداييد

(١٣٦٧/ ب: ٧٨)

(التّرجمة: كنّا معدومين في اليوم الّذي كانت تذهب القافلة، فقولوا لنا أين أنتم وإلى أين ذهبتم؟ فبقينا في التّراب وجلسنا عليه وكسرنا، فذهبنا وسمعنا بأنّكم شهداء الله جلّ وعلا).

بما أنّ ظهور الحرب في كلّ من بلاد إيران وفلسطين يتفاوت تفاوتا ملحوظا، ظهر الشّوق والحنين إلى الشّهادة لدى الشّاعرين بأشكال وأضراب مختلفة، حيث أنّ دحبور يرى نفسه مجاهدا لا يزال يناضل ويجاهد، لأنّ الحرب لا تزال قائمة على ساقها في فلسطين المحتلّة ولا يظنّ الشّاعر بأنّه فقد فرصة الشّهادة وهذا هو السّبب أن الشّاعر قد يعتبر نفسه شهيدا يشيع جثمانه النّاس وأطايب الرّجال، بيد أنّ سلمان هراتي لا يري الشّهادة إلّا فرصة ذهبيّة فقدها بكلّ أسف، لأنّ الحرب المفروضة انتهت، ووضعت أوزارها وهو لا يزال حيّ قائم، وهذا هو السّبب أنّ الشّوق إلى الشّهادة والحنين إليها ظهر في شعره ظهورا نوستالجيا جميلا.

٣. النّتيجة

١. يرى أحمد دحبور فقدان الشّهيد مصدرا للألم والحزن، ويدعو إلى انسكاب الدّموع وإقامة مراسم الحداد، لهذا يظهر في شعره الغمّ والحزن ظهورا ملحوظا، غير أنّ سلمان هراتي لا يعتقد بالحداد على الشّهداء ولا يوجد الغمّ والحزن في شعره، ولا يتأسّف على موت الشّهداء. في

الواقع إنّ الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة في كلّ من إيران وفلسطين هي الّتي صنعت هذه الفوارق في شعر الشّاعرين، لأنّ الحرب المفروضة في إيران قد إنتهت بانتصار إيران، ولكن الحرب الفلسطينيّة لا تزال قائمة على ساقها، ومن ثمّ يحاول أحمد دحبور من خلال بيان مظلوميّة الشّعب الفلسطيني من جهة وظلم وتعسف الكيان الصّيهوني الغاصب من جهة ثانية، أن يؤجّج روح المقاومة والنّضال في صدور أبناء الشّعب الفلسطيني.

٢. إنّ الشّاعرين متّفقان في القول بخلود الشّهيد، حيث يصفان الشّهيد بأنه شخص خالد ثوروي يقاتل في صفوف المجاهدين ضدّ الأعداء وهو الّذي يبعث بدمه روح الأمل والمقاومة في صدور المجاهدين، ثمّ إنّ كليهما في بيان خلود الشّهيد، يستخدمان عناصر الطّبيعة، غير أنّ سلمان هراتي بما أنّه كان يعيش في الطّبيعة وفي القرى المخضرة، استلهم من الطّبيعة أكثر من أحمد دحبور، حيث أن الطّبيعة وهي من أبرز ميزات الرّومانطيقيّة ظهرت في كافّة محاور الشّاعر الشّعريّة.

٣. إنّ الاستشهاد في وجهة نظر الشّاعرين يصبغ بصبغة العشق والحبّ، ويجلو في أشعارهما بأنّ أبطال الحرب والنّضال يعرفون أنّ الموت يصلهم إلى المعشوق، يستقبلون منه ويرحبون به عن سويداء القلب ولا يخافون من الموت والاستشهاد، بل هم راضون بالموت في سبيل الله!

٤. هناك فوارق نسبية في شعر كلا الشّاعرين فيما يخصّ بموضوع تمنّى الشّهادة، حيث أنّ أحمد دحبور يرى نفسه مجاهدا لا يزال يناضل ويجاهد لأنّ الحرب لا تزال قائمة على ساقها في فلسطين المحتلّة ولا يظنّ الشّاعر بأنّه فقد فرصة الشّهادة وهذا هو السّبب أنّ الشّاعر قد يعتبر نفسه شهيدا يشيع جثمانه النّاس وأطايب الرّجال، بيد أنّ سلمان هراتي وهو ممّن شارك في الدّفاع المقدس الإيراني خلال ثمان سنوات، لم يستشهد ومن ثمّ يعتقد بأنّه فقد فرصة الشّهادة في سبيل الله جلّ وعلا، ويتأسّف باستمرار على ذلك بشيء من الحالة النّوستالجيّة.

٤. الهوامش

(١) يعتبر أحمد دحبور (١٩٤٦) من نجوم الأدب المقاومة الفلسطينيّة ومن الشّعراء الفلسطينيين الّذين ترتبط حياته وعيشه وشعره كلّها بالقضيّة الفلسطينة تماما، ومنذ أوان الطّفولة إضطرّ إلى مغادرة الوطن نحو مخيّم حمص في سوريا الأبيّة، وألقي عصا التّرحال هنالك نحو ٢١ عاما، وأثرت هذه المسألة الخطير والبعد عن الوطن والعيش في مخيم ملئه الصعوبة والغربة في شعره تأثيرا كبيرا، حيث لُقّب بشاعر المخيّم، وعلى حد تعبيره بنفسه أن «أمّي والزّير سالم والشّاعر موريس قبق الشّخصيّات الثّلاث الّتي لولاها، لما عرفتُ إذ كنتُ سأصل إلى الشّعر أو ما إذا كان وصولي سيكون على هذا النحو.» (دحبور، ١٩٨٣: ٢١)

نشأ دحبور وترعرع في أوساط كبار الشّعراء الفلسطينيين المناضلين، وانضمّ إلى صفوف التّيارات المناهضة للصّهونية العالمية، وبذل شعره بأكمله في القضيّة الفلسطينة وبدأ يصف هموم مواطنيه وآلامهم وصفا دقيقا بارعا. له مجموعات شعريّة مختلفة كالتّالي: ديوان *الضواري وعيون الأطفال* (١٩٤٦) الّذي نشره ولم يكن يتجاوز ثماني عشرة من عمره (المصدر نفسه: ١٨) وديوان *حكاية الولد الفلسطيني* (١٩٧١) ودواوين اخرى *كطائر الواحدات* (١٩٧٣) و*بغير هذا جئت* (١٩٧٧) و*اختلاط اللّيل والنّهار* (١٩٧٩) و*شهادة بالأصابع الخمس* (١٩٨٢) و*هكذا* (١٩٩٠) و*الكسور العشرية* (١٩٩١) و*أيّ بيت* (٢٠٠٤).

(٢) كان سلمان هراتي (١٣٦٥-١٣٣٨) من جملة هؤلاء الشّعراء الشّباب الملتزمين والثّوريين الّذين ترعرع في جوّ الثّورة الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، بدأ بقرظ الشّعر وله من العمر ١٧ سنة، ودراساته في فرع الفنّ تغيّرت نظرته ورؤيته إلى العالم وإلى مختلف الظّواهر وجميع النّاس، وجعلت قدراته الشّعريّة تتضاعف وتنمو في وصف المشاهد وخلق التّصاوير الجميلة (خادمي كولايي، ١٣٨٥: ٣٠-٣٣). عزم الذّهاب إلى الجبهة وميدان القتال إبان الحرب المفروضة مع عدد من أصدقائه كسيّد حسن حسيني وقيصر أمين بور، وراح يشارك المجاهدين والمناضلين عن طريق اذكاء نار الكفاح المتأججة في صدور الثّوار وحثّهم للدّفاع عن الوطن.

يعدّ سلمان هراتي رغم عمره الوردي القصير من أكبر شعراء الحرب الحداثيين وله بعض المجموعات الشّعريّة، منها: *از آسمان سبز* (من السّماء الأخضر، ١٣٦٤) و *دری به خانهٔ خورشید* (نافذة إلى دار الشّمس، ١٣٦٧)، كما طبع منه كتاب للأطفال والمراهقين تحت

عنوان *از این ستاره تا آن ستاره* (من هذا النّجم إلى ذاك النّجم، ١٣٦٧).

المصادر

الف: الكتب

- **القرآن الكريم.**

١. ابن منظور، محمّد بن مكرم (٢٠٠٥)؛ **لسان العرب**، المجلّد الثّالث، بيروت: دار الصّادر.

٢. الأنصاري، حسّان بن ثابت (١٢٨١)؛ **الدّيوان**، تونس: الدّولة التّونسيّة.

٣. البخاري، محمّد بن اسماعيل (١٤٠٧)؛ **صحيح البخاري**، المجلّد الرّابع، بيروت: دار ابن كثير.

۴. ترابی، ضیاء الدین (۱۳۸۱)؛ شکوه شقایق نقد و بررسی شعر دفاع مقدّس، چاپ اوّل، قم: مؤسّسهٔ فرهنگی سماء قلم.

٥. الحرّ العاملی، محمّد بن حسن (١٤٠٩)؛ **وسائل الشّيعة**، المجلّد الحادی عشر، الطّبعة الأولى، قم: مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام.

٦. حور، محمّد (١٩٨٨)؛ **ثقافة أحمد دحبور من شعره**، دبي: مطابع البيان التّجاريّة.

۷. خادمی کولایی، مهدی (۱۳۸۵)؛ پژوهشی در زندگی و شعر سلمان هراتی (آشنای شالیزار)، چاپ اوّل، ساری: شلفین.

٨. دحبور، أحمد (١٩٨٣)؛ **الدّيوان**، الطّبعة الأولي، بيروت: دار العودة.

٩. ------- (٢٠٠٤)؛ **ديوان أيّ بيت**، الطّبعة الأولي، غزّة: التّهاني الثّقافيّة.

١٠. الزّركلي، خير الدّين (١٩٨٠)؛ **الأعلام**، المجلّد الخامس، الطّبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين.

١١. الطرابيشي، مطاع (١٩٨٥)؛ **شعر عمرو بن معدي كرب**، الطّبعة الثّانية، دمشق: مجمع اللّغة العربيّة.

۱۲. مکارم شیرازی، ناصر (۱۳۷۴)؛ تفسیر نمونه، جلد اوّل، چاپ اوّل، تهران: دار الکتب الإسلامیه.

۱۳. هراتی، سلمان (۱۳۶۷/ الف)؛ از این ستاره تا آن ستاره، چاپ اوّل، تهران: سورهٔ مهر.

۱۴.----------(۱۳۶۷/ ب)؛ دری به خانهٔ خورشید، چاپ اوّل، تهران: سروش.

۱۵. ----------(۱۳۸۷)؛ آب در سماور کهنه، چاپ سوّم، تهران: توسعهٔ کتاب إیران.

ب: المجلّات

١٦. زرقه، يوسف موسى (٢٠٠٣)؛ «ظاهرة الحزن الحيوى في شعر أحمد دحبور دراسة فنّيّة وموضوعيّة»، **مجلّة الجامعة الإسلاميّة**، المجلّد الحادي عشر، العدد الثاني، صص ١٩٦-٢٧٦.

۱۷. عزیزیان، محمّد تقی (۱۳۸۹)؛ «گل پایان قشنگی دارد (بررسی شعر انقلاب و دفاع مقدّس در آثار سلمان هراتی)»، کتاب ماه ادبیّات، شمارهٔ ۴۶،صص۳۴-۳۸.

۱۸. علیپور، پوران (۱۳۹۰)؛ «نشانه‌شناسی هیپوگرام مفهومی «شهادت» در شعر دفاع مقدس»، مجلّهٔ ادبیّات

پایداری، سال دوّم، شمارهٔ ۳ و ۴، صص ۳۷۹-۴۰۶.

۱۹. محسنی‌نیا، ناصر (۱۳۸۹)؛ «ادبیّات تطبیقی جایگاه و ضرورت‌ها»، **مجلّهٔ انجمن ایرانی زبان و ادبیّات عربی**، شمارهٔ ۱۴، صص ۸۱-۱۰۲.

٢٠. مقدّم متّقي، أمير (١٤٣٢)؛ «الشّهادة والشّهيد في الشّعر العربي المعاصر»، **مجلّة آفاق الحضارة الإسلاميّة**، السّنة الرّابعة العشرة، العدد الأوّل، صص ٨٥-١١٦.

۲۱. نیّری، محمّد یوسف و سیّد مهدی خیراندیش (۱۳۸۴)؛ «شهید و شهادت در عرفان اسلامی»، **مجلّهٔ علوم اجتماعی و انسانی دانشگاه شیراز**، دورهٔ ۲۲، شمارهٔ ۱، پیاپی ۴۲، صص ۱۹-۳۲.

ج: الأطروحة

۲۲. طاهری، قدرت‌الله (۱۳۷۸)؛ **مقدّمه‌ای بر تحلیل انواع ادبی در شعر جنگ**، پایان‌نامهٔ کارشناسی‌ارشد، استاد راهنما: دکتر حسینعلی قبادی، تهران: دانشگاه تربیت مدرّس.

کاوش‌نامهٔ ادبیّات تطبیقی (مطالعات تطبیقی عربی - فارسی)
دانشکدهٔ ادبیّات و علوم انسانی، دانشگاه رازی، کرمانشاه
سال هفتم، شمارهٔ ۲۵، بهار ۱۳۹٦ هـ ش/ ۱٤۳۸ هـ ق/ ۲۰۱۷ م، صص ۱۱۵-۱۳۰

بررسی تطبیقی مضمون شهید و شهادت در شعر «أحمد دحبور» و «سلمان هراتی»[۱]

ناهده فوزی[۲]
استادیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران مرکز، ایران
سعید فروغی‌نیا[۳]
دکتری زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران مرکز، ایران
موسی عربی[۴]
استادیار گروه زبان و ادبیّات عربی، دانشگاه شیراز، ایران

چکیده
شهید و شهادت از موضوعات دیرینهٔ ادبیّات پایداری است و از سوی غالب شاعران متعهّد، مورد اقبال قرار گرفته است. در دوران معاصر نیز شاعران دو ملّت فلسطین و ایران که دارای تقارب فرهنگی و سیاسی هستند، شهید و شهادت را ارج نهاده‌اند. احمد دحبور و سلمان هراتی، دو شاعر معاصر فلسطینی و ایرانی، از بزرگان ادبیّات پایداری‌اند و تابلوهای زیبایی از شهید و شهادت را خلق کرده‌اند. در این پژوهش، بر مبنای روش تحلیلی – توصیفی، اشعار این دو شاعر مورد مداقّه قرار گرفته و این نتایج حاصل شده است؛ دحبور، غم از دست‌دادن شهید را جانکاه می‌بیند و به سوگ او می‌نشیند، امّا هراتی سوگ و تعزیت را برای شهید روا نمی‌دارد. هر دو شاعر در زمینهٔ جاودانگی شهید تقریباً دیدگاه مشترکی دارند. شهادت‌طلبی، در اشعارشان رنگ اشتیاق به خود می‌گیرد و رزمندگان به آغوش شهادت می‌شتابند؛ امّا با توجّه به اوضاع جنگ در دو کشور، آرزوی شهادت برای دو شاعر متفاوت است، دحبور، فرصت شهادت را از دست رفته نمی‌بیند، ولی هراتی با حالت نوستالژیک از آن یاد می‌کند.

واژگان کلیدی: ادبیّات تطبیقی، شهید، شهادت، أحمد دحبور، سلمان هراتی، زبان شعری.

---

۱. تاریخ دریافت: ۱۳۹۵/۷/۲۴ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۵/۱۲/۱۸
۲. رایانامهٔ: dr.fawzi1920@gmail.com
۳. رایانامه نویسندهٔ مسئول: foroughinia.saeid@yahoo.com
۴. رایانامه: moosaarabi@yahoo.com